



التوافق والتباين مع الآخر في شعر العماد الاصبهاني ت ٥٩٧ هجرية

التوافق والتباين مع الآخر في شعر العماد الاصبهاني ت ٥٩٧ هجرية

د. إبراهيم محمد مصلح شاهين
مديرية تربية الانبار - الرمادي

البريد الإلكتروني Email : qqwwddee11223344@gmail.com

الكلمات المفتاحية: التوافق - العماد الأصبهاني - شعر - عباسي - متأخر.

كيفية اقتباس البحث

شاهين ، إبراهيم محمد مصلح، التوافق والتباين مع الآخر في شعر العماد الاصبهاني ت ٥٩٧ هجرية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، ٢٠٢٢، المجلد: ١٢، العدد: ١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مسجلة في
Registered
ROAD

مفهرسة في
Indexed
IASJ



Compatibility and contrast with the other in the poetry of Al-Imad Al-Asbahani, d. 597 AH

Dr. Ibrahim Mohammed Muslih Shajin
Directorate of Education in Anbar Governorate- Ramadi

Keywords : Tawafuq - Al-Imad Al-Asbahani - Poetry - Abbasi - Late.

How To Cite This Article

Shajin, Ibrahim Mohammed Muslih, Compatibility and contrast with the other in the poetry of Al-Imad Al-Asbahani, d. 597 AH, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2022, Volume:12, Issue 1.



This is an open access article under the CC BY-NC-ND license
(<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>)

[This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.](http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/)

Abstract:

This research aims to highlight the diversity in compatibility and contrast with the other in the poetry of al-Imad al-Isbahani, to study that compatibility and contrast with the other and what it includes of compatibility and contrast formations, standing on the most important of those compatibility and contrast with the other through poetic texts contained in the poetry of al-Imad al-Asbahani, using the opinions of previous researchers from The people of knowledge and specialists through their mentioned works, many have written in this style, but not with Al-Imad Al-Asbahani, but their writings were in the poetry of other poets. The other and two axes, so the first axis came in compatibility with the other, while the second axis came in contrast with the other, then came the end and in it the conclusion that contained the most important results reached by the research, and then followed that with a list of margins, which contains a detail of the names of the sources and



references, He tried to read the most prominent features of this formative phenomenon. immersed in the essence of its presence in his poetic texts, as talking about the concept of the other is wide And its diversity and plurality, according to the intellectual and cultural visions from which it was launched. The other for the bifurcation of meanings It may be the sword, the time, the gray hair, the woman, the wine, and others as it appeared It doesn't have to be human by searching.

His experience extended to express it with new techniques and visions, some of which are familiar and familiar. In some of them, the poet added to the literary memory the idea of a follow-up in his texts full of seriousness.

About coalition with the other. and vitality and includes many manifestations of the self and the other as well It was clearly manifested and embodied by the same poet who emerged in his artistic production. By drawing the poetic image because it corresponds to the feeling and identity. As for the contrast with the other, it reveals the poet's impressions at a particular moment. Today, because it emerges from a self that suffers from the vicissitudes of the other and God is conciliator to the right path.

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز التنوع في التوافق والتباين مع الآخر في شعر العماد الاصبهاني وما يشتمل عليه من تشكيلات توافقية وتباينية راصداً على اهم تلك التوافقات والتباينات مع الآخر من خلال النصوص الشعرية الواردة في شعره مستعينا بآراء الباحثين السابقين من اهل العلم والاختصاص من خلال مؤلفاتهم المذكورة فالكثير قد كتبوا بهذا الأسلوب ولكن ليس عند العماد الاصبهاني وإنما كانت كتاباتهم في شعر غيره من الشعراء فاردت أن أبرز هذا الأسلوب في شعر العماد الاصبهاني، جاءت هذه الدراسة في تمهيد تناولت فيه سيرة الشاعر - ولادته ووفاته - ومدخل عن مفهوم الآخر، فجاء المحور الأول في التوافق مع الآخر في حين جاء الثاني في التباين مع الآخر اختتمت الدراسة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث والتي حاول فيها أن يستقرأ أبرز ملامح هذه الظاهرة التكوينية الغارقة في كنه حضورها في نصوصه الشعرية، إذ إن الحديث عن مفهوم الآخر يتسع لأفق يه وتنعها وتعددها بحسب الرؤى الفكرية والثقافية التي انطلقت منها رجب . فالآخر لتشعب معانٍ فقد يكون السيف والزمان والشيب والمرأة والخمرة وغيرها كما ظهر ليس بالضرورة أن يكون انسانا من خلال البحث. وقد امتدت تجربته للتعبير عنها بتقنيات ورؤى جديدة في بعض منها ومألوفة في

بعضها الآخر، فأضفى الشاعر للذاكرة الأدبية فكرة متابعة في نصوصه المفعمة في الجد عن الإئتلاف مع الآخر.

والحيوية والمتضمنة لكثير من تجليات الذات والآخر فضلا قد تجلى وتجسد بوضوح من خلال ذات الشاعر التي برزت في نتاجه الفني المتمثل برسم الصورة الشعرية لأنها تتطابق مع الشعور وتطابق هويته. أما التباين مع الآخر فكشف عن انطباعات الشاعر في لحظة معينة فما كان ائتلافاً اليوم، لأنه منبثق من ذات تعاني تقلبات الآخر ثم اتبعت ذلك بقائمة الهوامش وفيها تفصيل لأسماء المصادر والمراجع والله الموفق إلى سواء السبيل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين من يتأمل في الموروث الأدبي، يجده غنياً بالتجارب الانسانية، وليس هذا الكلام اعتباطاً أو تعصياً، وإنما يجد ذلك واضحاً من يغوص في مكنونات المصادر الأدبية وتعمق ليخرج لنا أنفس واجود الجواهر والدرر، وأعني خطاب الآخر خطاب الشاعر للأفراد والجماعات، وتعبيراً عن رؤيته للعالم، وحقوق الآخرين وأخص بذلك الشاعر عماد الدين الأصبهاني، الذي عاش وعاصر الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية التي عانتها الأمة الإسلامية. وبخاصة في الشام المتمثلة في حملات الغزو الصليبي التي بدأت من أواخر القرن الخامس الى القرن السابع الهجري. لذا اخترت دراسة الآخر في شعر الأصبهاني بحسب مرجعيته الثقافية، والكشف عن صور الآخر على وفق المنهج الوصفي التحليلي فكان خطابه مع الآخر بشكل حواراً. يُدلي به الشاعر من قرارة النفس التي ترتبط معه ارتباطاً وثيقاً. له أثرهم من وجهة نظر الشاعر بمن يحيطون به أو ما يراه في المجتمع، ذلك كله شكل عند الأصبهاني هاجساً جعله ينظر الى الأشياء من منظار نفسي في ضوء ما تقدم عمدت الى دراسة الآخر في شعر العماد الأصبهاني، إذ تناولت في التمهيد سيرة العماد (ولادته، سيرته، وفاته) مع توطئة لمفهوم الآخر لغةً وإصطلاحاً، أما التحليل الأدبي للنصوص فجاء على محورين:

المحور الأول: تناولت فيه التوافق مع الآخر، أما المحور الثاني فتناولت فيه علاقات التباين مع الآخر.

وأما الخاتمة فكانت خلاصة دقيقة لأبرز النتائج التي كشف عنها البحث . وفي الختام أملي أن اكون قد وفقت في تقديم عملاً فنياً وأدبياً يسمح في اثراء الثقافة الأدبية بالجديد فأن كنت قد أخطأت فلي فضل المحاولة والجهد، وأن كنت قد أصبت ووفقت فله الحمد.

التمهيد...

أولاً: العماد الأصبهاني: سيرته وحياته.

في سيرة العماد الأصبهاني وواقع حياته.

هو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد المشهور بالعماد الأصبهاني.^(١)

ولد بأصبهان سنة ٥١٩ هجرية، ونشأ بها، وتعلم مبادئ اللغة العربية وأدائها، وقدم بغداد مع أبيه وحينما تفتحت أكام غرسه، وتوسعت دائرة معارفه، بدأ في ارتياد المحافل العلمية والمجالس الأدبية، ومواجهة أرباب السيف والقلم وأول محفل حضره، وجاذب الحديث فيه، كان في الموصل، حين زارها، وهو في ريعان الشباب - ومدح وزيرها المعروف بالكرم والسخاء، جمال الدين بن جعفر بن علي الأصفهاني وصرح بذلك فقال!^(٢) " وكنت أنا في ذلك العهد ببغداد متفقهاً، وأتفق حضوري بالموصل سنة ٥٤٢ هجرية فحضرت عند جمال الدين بالجامع في خطبتين وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسألتين ومما مدحته به قصيدة - وذلك أول نظمي أولها:

أظنهم وقد عزموا ارتحالاً ثنوا عنا جَمالاً لا جَمالاً

ثم عاد الى بغداد ومنها إلى أصبهان، قال!^(٣): ودخلت أصبهان في سنة ٥٤٣ في رأي العلماء وحضرت المحافل في مناظرة الفضلاء ومناظرة الكبراء، وأستسقيت روض الفضل من قطرهم.

وفي بغداد بدأ صعوده في سلم المجد والرفعة شاعراً أو كاتباً له مكانته السامية ومنزلته العالية.

لقد حظي العماد بإعجاب الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي لما مدحه في قصيدته التي يقول في مطلعها:^(٤)

لو حفظت بوم الندى عهدوها ما مطلت بوصلكم وعهودها

ثم أعجب به السلطان صلاح الدين الأيوبي وأنشده قصيدته التي يقول في أولها:^(٥)

أجيران جيرون مالي مجير سوى عطفكم فاعدلوا أو فجوروا

وأصبح كاتباً للسرّ ومسؤولاً عن ديوان الاستيفاء وصحبه صلاح الدين وشهد أغلب الوقائع الحربية معه، وتغنى كثيراً ببطولاته.

وفاته:

توفي العماد بدمشق يوم الاثنين مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ وهو في الثامنة والسبعين من العمر.^(٦)

يتضح من ذلك ان العماد الاصبهاني نشأ نشأة فكرية علمية أدبية جادة متأثراً بمن سبقه من الشعراء، وكان كثير الترحال مع القائد صلاح الدين الأيوبي أسهمت في صقل شخصيته. وتعميق فلسفته في الحياة، وأظن أن مصاحبة القائد صلاح الدين وأسفاره منه في الحروب، من أكثر العوامل التي أثرت في شخصية العماد، فقد كان يلتقي في ترحاله كثيراً من الناس ويعيش كثيراً من التجارب اليومية التي من شأنها أن تعطيه مالا يأخذه سوى من الترحال والتنقل، كما أن الترحال قد سمح له بالإطلاع على تجارب حياتية لغيره من الناس، مما ساعد في نظرتة للحياة، وكان للدافع النفسي عند العماد أثر لا بأس به في اظهار براعته الأدبية، في إظهار بطولات ممدوحيه، وسموا ارادتهم. فأصبح الشاعر يتلمس خطاهم ومآثرهم.

توطئة - مفهوم الآخر:

مما لا شك فيه ان الحديث عن الآخر هو الحديث عن أنا أخرى من منظور لها من قبلي أنا لذا فكل ذات تتحول من أنا الى آخر حسب زاوية النظر التي ترصد منها لذلك ذكرت عدة تعريفات في تعريف الآخر ومفهومه.

أولاً - الآخر لغة:

وردت لفظة آخر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ يَوْمَئِذٍ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا﴾^(٧) ، ووردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى (أحد الشئيين وهو أسم على أفعال والآخر بمعنى غير، كقولك رجلٌ آخر وثوبٌ آخر، وأصلها أفعال من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد أستثقلت فأبدلت الثانية ألفاً بسكونها وانفتاح الأولى قبلها، وتصغير آخر أويخر والجمع آخرون. ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث).^(٨)

وفي معجم الوسيط يكاد يتوافق المفهوم مع مفهوم لسان العرب، فـ: فالآخر: (تأخر، والشيء جعله يعد موضوع هو الميعاد أجله (وتأخر عنه) جاء بعده وتقهر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشئيين، ويكونان من جنس واحد)^(٩). ومن هنا نستنتج أن الآخر جاء بمعنى الغير والمخالف.

ثانياً - الآخر اصطلاحاً:

ان الآخر في أبسط صوره هو مباين للذات (والأنا) فهو كل ما كان موجوداً خارج الذات المدركة ومستقلاً عنها، وفي تاريخ الفكر كما في العلوم الانسانية، حظيت موضوعات الآخر -

ولا تزال - مكانة بارزة نظراً لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة: الأنا / الذات - الهوية - (...) فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقراية والصدقة والجوار أو كالمنافسة والخصومة والعداء... وهذه التجارب وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها على صعيد الوعي أو في حق للسلوك والفعل.^(١٠)

وعرف مصلح النجار وآخرون الآخر أو الآخرون (بأنهم فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم الأنا في ضوء مرجع هو الأنا، فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فرداً أو جماعة بحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز أطاره الهوية أحياناً والآخر في أحيان أخرى^(١١)). وتختلف هوية الآخر باختلاف الوعي الذي تدركه الأنا.

فيمكننا القول بأن الآخر هو الغير سواء كان العدو الذي تباين مع الذات وكان معادياً لها وخارجاً عليها أو كان صديقاً تحنن عليها وانجذب نحوها أو بادلها الحب بالحب لان في كل الأحوال لا يمكن أن يعيش الأنا في غياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تربطهما فهما بالضرورة متلازمان.

المحور الأول - التوافق مع الآخر

أولاً - التوافق مع الذات بوصفها الآخر

يستطيع الإنسان على أن يتعرف على ذاته شيئاً فشيئاً بوصفها الآخر الذي يحبه وقد يتصالح معه ويسعى لأرضائه ويغفر زلاته، وقد يبغضه ويمقتة. وعند ذلك يشعر الانسان أن الحياة في نظره هوة سوداء لا نور فيها. وإذا أراد الانسان أن يسجل هذه الذات في نص ما فإن هذا النص يتحول الى سيرة ذاتية هي بشكل مرآة تعكس حياته. وعلينا أن نلتفت الى أن هذه الصورة التي رسمها الشاعر للذات قد تكون ليست هي حقيقة الذات وواقعها. أو قد تكون صورة لما يريد الشاعر أن تكون أو أنها صورة لما يتوهم الشاعر أنها الحقيقة فقد تكون الحقيقة بعيدة، لأن الشاعر لا يعرف ذاته جيداً فضلاً عن المراوغة في اللغة التي تجعل الصورة منزاحة عن الواقع تماماً، ومن خلال المطالعة في نصوص العماد الأصبهاني التي يتحدث فيها عن الذات، نجد أنه يستخدم ضمير المتكلم ليرسم لنا ملامح الصورة وأحياناً نجده يريد من المتلقي أن يبحث عن الصورة بنفسه، مستعيناً بالمفاتيح التي منحنا أيها وهذه تظهر كالاتي الشجاعة والإقبال على الموت وحبّ الحرب:

من المعلوم أن الإنسان يحكم ويوجه جميع تصرفاته، فهو يتقلب في هذه الحياة على الوجهة التي يتطلبها هدفه، ولا سيما اذا عرفنا أن الهدف الأسمى يتطلب ذلك، فقد يضحى من أجل هذا الهدف بكل شيء، بل وقد ينسى كل شيء لأجله، فحياته مرهونة بذلك الهدف لا يمكن

أن يتنازل عنه مهما كلفه ذلك الهدف من تضحيات، والعماد الأصبهاني لا يخاف الموت بل يقبل عليه بكل ثبات ولا سيما أنه كان ملازماً للقائد صلاح الدين الأيوبي وأغلب القادة في حربهم ضد الصليبيين كقوله: (١٢)

لله جيش بالمروج عرضته أسد العرين رجاله ورماحه
وكأنتي بالساحل الأقصى وقد ساحت ببحر دم الفرنجة ساحه

فالشاعر هنا يبرر عن ذاته مع الآخر توافقاً يلُم عن قدرته الإبداعية معتمداً على أسلوب التعجب (لله) ولا سيما ان هذا الأسلوب يحتاج الى تمعن في البناء الفني ومستعيناً بالصور التي يرسمها الشاعر لمشهد بطولي لدماء الفرنج التي تملأ ساحة الساحل الأقصى ومستعيناً بالايحاءات. مبرزاً الموقف البطولي له وللمقاتلين ضد الأفرنج ولا سيما ونحن نعرف أن الهدف الأسمى له ولكل المسلمين هو تخليص البلاد الإسلامية من دنس الاعداء وليعمم الآخر أن ذلك لم يكن إلا نتيجة لقوة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فهو يرى أن راحته في الجهاد إذ إنها في غيره تعب ولا يمكن ان ينال مبتغاه إلا بالطلب وترك اللهو واللعب كما في قوله: (١٣)

أقسمت سوى الجهاد مالي أرب والراحة في سواه عندي تعب
إلا بالجد لا ينال الطلب والعيش بلا جد جهاد لعب

أراد الشاهد أن يبرز ملامح الشخصية المثالية في صورة الآخر التي تتسم بالبطولة وتسخير كل الطاقات لخدمة الاسلام واعلاء مجده من خلال توظيف الألفاظ في النص ليمنح الأبيات طابعاً اسلامياً، يناسب مع الجهاد الإسلامي، مستعيناً بالقسم، وحين يقسم هنا يبرز فيها الآخر (الممدوح) بشغله الشاغل الذي يجد فيه الراحة لكي ينال مطلوبة ومبتغاه، فالحياة عنده بلا جهاد وهي لعب فجعل الحياة الرغيدة معادلاً للتعب الذي يجد فيه النشوة، فهو لا يريد حياة الترف والدعة، والركود الى الراحة يعني له ضياع الأرض والمقدسات وكيف يركن الى الراحة وهو يرى ان اغلب الثغور الإسلامية ترضخ تحت سيطرة الأفرنج. فهذا الأمر لا يتوافق مع مبتغاه وطموحاته.

تبين أن الشاعر اعتمد على المفردات الجزلة في بناء الصورة الشعرية، مبيناً أثرها في النص الأدبي، تنم عن مكنون ثقافي كبير معرفة تامة لقيمة الصورة ودرها في التعبير والتصوير.

ثانياً - التوافق مع الآخر / الممدوح

لعماد مدائح في الشخصيات التي تعرف عليهم ومن أبرز هذه الشخصيات هي القائد نور الدين زنكي والقائد صلاح الدين الأيوبي وغيرهم كثير. فقد أولاهم بمدائحهم من حثهم ودفعهم الى الجهاد من اجل تربة الوطن وشرف الأمة وعزتها وكرامتها. وقد تجسد توافق صورة الآخر



في شعر العماد في وصف الشخصية المثالية التي تسبغ صفاتها على الممدوح. ومن هذه الصفات وأبرز هذه القيم الشجاعة والتضحية والأقدام، معلناً بسالته في الوعى وأنه صنيدي لايهاب الاعداء ثابت كالتود الشامخ لكي يسجل لنا قائد ممدوحه وبمجد مواقفه وينشر انتصاراته كما في قوله: (١٤)

حبذا ساكنو فوادي وعهدي بهم يسكنون سفح الوادي
أتمنى في الشام أهلي ببغدا د وأين الشام من بغداد
ما اعتياضي عن حُبهم يعلم الل هُ تعالى إلا بحبّ الجهاد
واشتغالي بخدمة الملك العا دل محمد الكريم الجواد
جلّ رزق الفرّج فاستبدلوا من هُ بلبس الحديد لبس الحديد
أخذتهم بالحق رجفة بأس تركتهم صرعى صروف العوادي

فقد ابداع الشاعر في الحديث عن ممدوحه ليعبر عن خوالج نفسية وشعورية صادقة كانت انعكاساً للحالة النفسية للشاعر تجاه ممدوحه يروم الشاعر من خلالها جذب اهتمام المتلقي، فضلاً عن انها تخدم الشاعر نفسه في التعبير عن معاناته النفسية اذ كان يمني النفس باللقاء. وأن الذي أشغله عنه هو حب الجهاد وفي سبيل الله، وخدمة الملك العادل محمود، فأسبغ على ممدوحه صفات قد ارتبطت بمعانٍ خاصة كشدة البأس في ساحة الوعى والقوة والشجاعة والخ... قد سادت في ذلك العصر ((العصور المتأخرة)) والعصور العباسية التي سبقت هي جديرة بالتركيز على المعاني الإسلامية في مدح الخلفاء والوزراء والقادة العظام والنبلاء الذين زادوا عن حمى الأوطان. على نحو لم يعهد عند الشعراء السابقين عليهم. (١٥)

ومثل ذلك في مدحه صلاح الدين الأيوبي في قوله: (١٦)

حطت على حطين قدر ملوكهم ولم تبقى من أجناس كفرهم جنسا
نعم مجال الخيل حطين لم تكن معاركها للجرد ضرساً ولادها
غداة أسود الحرب معتقلوا القنا أساودُ تبقي في نحور العدا نهشا
كسرتهم اذ صح عزمك فيهم ونكستهم اذ صار سهمهم نكسا
بواقعة رجّت بها الأرض جيشهم دماراً كما بسّت جبالهم بسا

فقد رسم العماد صورةً لممدوحه انتزعها من الجو الذي عاش فيه. حيث صرير الحديد وصهيل الخيل ومطاردة الفرسان، كي ينقل المتلقي الى ميادين المعارك التي أصبحت أنذ شغل الناس الشاغل وهم ينتظرون عودة القائد المنتصر مع حشوده الأشاوس حاملين لهم بشرى النصر بتطهير المقدس من دنس البغاة، مثيراً في نفسه روح الأعجاب والأحترام لمن جعله موضع

مدحه. فيجد نفسه منساقاً الى التعبير عن مشاعره، وكأنه شاهد حق، فرسم لنا صورة جميلة بهيجة جمعت بين الوصف الجميل، والمديح الرقيق، الأمر الذي عرف به (أبن المعتز) وصار سمةً من سماته^(١٧). فقد أسهم العماد في تسجيل وقائع ممدوحه الحربية التي خاضوها، فرسم لنا صورة لوحةً متعددة الألوان تنعكس عليها الدلالات المعنوية المشاركة في تلك الوقائع. فتصويرها هو تصوير لدور الممدوح في الحرب، والحالة النفسية للعدو أحداث القتال ووصف أدوات الحرب ووصف الجند ثم التبشير بالنصر وتهنئة الممدوح بذلك، فضلاً عن التوافق مع الممدوح الذي يضيف النفس ارتباطاً تتعم في روح المشاعر منسجمة روح الممدوح الذي جعله مثله الأعلى في مقارعة الإفرنج فقد وجد فيه الصورة النموذجية في حمل لواء الجهاد^(١٨).

فيمكن القول أن الشاعر يدرك القيمة المكانية لممدوحه فأختار اجذل الألفاظ والمعاني التي تعبر عن مشاعر تجاه ممدوحه.

ثالثاً - التوافق مع الآخر / المرثي

يعتبر غرض الرثاء من الإراض الشعرية المتواجدة في دواوين الشعراء منذ القدم وشاع عندهم وأصبح في سنتهم وعاداتهم^(١٩). وعلى وفق منهج يعتمد الندب التائبين والعزاء، والمتكامل في شعر العماد يجد أنه قد أشتمل على هذا الغرض وعلى نهج الأقدمين. فجعل من الرثاء حالة تأملية ذات مغزى عميق الأثر في الدلالة الشعرية وصياغتها، فقد بكى العماد بدموع غزار على الأهل والأصدقاء والقادة العظماء وخصّهم بشعراً كثير. يظهر فيه الأحزان والآلام، والأوصاب والأشجان، كما في قوله: ^(٢٠)

الدين في ظلم لغيبة نُوره ... والدهرُ في غمٍ لفقد أميره
فليندب الإسلام حامي أهله ... والشامُ حافظ ملكه وثغوره
أعزز عليّ بليثٍ غابٍ للهدى ... يخلو الشرى من زوره وزئيره
أعزز عليّ بان أراه مغيباً ... عن محفلٍ متشرفٍ بحضوره

لقد عبر الشاعر عن مشاعر أصدق تعبير عن رحيل البطل المغوار، متفجعاً لموته، فتراه مرهف الحس، سريع التأثر بهذا المصاب الجلل. حينما ان لوعته وحرقة قلبه ليس هو حسب بل عبر عن لوعة وحزن الأمة الاسلامية جميعاً على حامي دمارها والذائد عن حماها. فنجد ان الخطاب قفي هذا النص على وفق منظور الشاعر لتشكيل الموت ثنائية مع الحياة التي تحتوي على الهموم والمصاعب، فشكلت تلك الثنائية العلاقة بين الشاعر والآخر رؤية فكرية لدى الشاعر الحقيقة التي يجهلها الكثير من الناس وهي ان الحياة الدنيا هي ليست دار قرار الى دار فناء، وله في رثاء صلاح الدين أيضاً، ومنها قوله: ^(٢١)

شمل الهدى والملك عم شتائه والدهر ساء وأقلعت حسناؤه
 أين الذي عنت الفرنج لبأسه ذلاً ومنها أدركت ثاراته
 وكعادة البيت المقدس يحزن لـ بيت الحرام عليه بل عرفاته
 من للثغور وقد عداها حفظه ... من للجهاد ولم تعد عاداته
 بكت الصوارم والصواهل إذ خلت من سلها وركوبها غزواته

فالمتمأمل في هذه الأبيات يجد فيها صدق المشاعر والأحاسيس في تأبينه لصالح الدين ومتناولاً سيرته العطرة بين الناس، ومواقفه المشهودة في مقارعة الأفرنج مصوراً لنا حالة الحزن التي سيطرت عليه بل وعلى بيت المقدس والبيت الحرام وحتى عرفات محاولاً إبراز صفحات مشرقة من حياة صلاح الدين التي واكبها في اثناء مرافقته له، ثم بعد ذلك يصور لنا العماد الآلام التي أصابت الأماكن المقدسة وحالة البكاء التي انتابت الخيول والسيوف التي عزَّ عليها فراقه، فكانت بحق صوراً رائعة تحكي للأجيال قصص الأبطال الذين عاشوا حياتهم كلها في نضال وكفاح من أجل تخليص البشر من ظلم الأفرنج ودحرهم لكي تنعم الأمة الإسلامية بالرخاء والأمان وكسب مرضاة الله عنه. فكل هذه الصفات التي ذكرها في رثاءه لممدوحه موجودة في شعر العماد ولا يكاد يخلوا منه شعر. (٢٢)

فقد صور الشاعر المعاني الدقيقة والصفات الحميدة التي كان يتصف بها المرثي وتمجيد بطالته تمجيحاً يقدم الحمية في نفوس الشباب لما لها من تصوير رائع واختيار للمعاني الدقيقة لتعبر بصدق وحرارة على فراق المرثي.

رابعاً - التوافق مع الآخر / الخمرة

لم يكن تأثر الشاعر بفن الخمریات بعيداً بل بدى واضحاً في شعره الذي هو تابعٌ للعصور العباسية التي سبقتهُ، ولا يخفى على الباحثين مدى انشاء الخمریات في العصر العباسي سواءً كان في مقدمات أشعارهم أو من خلالها وأخذ الشاعر العباسي يتناول وصفها وما يتصل بها من مجون وندامى بصور متنوعة، وقد وجدت هذه الأوصاف قد أمتزجت مع الآخر المؤتلف في شعر العماد، محاولةً منه لاثبات قدرته في هذا الفن الذي شاع فيمن سبقه كما في قوله: (٢٣)

منتني العطف منتشي الطرف في مي له الحمياً وطرفه المخمور
 ما مداً يديرها ثمل العطف ف بنفسي كووسها والمدير
 بنت كرم تجلى على ابن كريم وجهه من شعاعها مستنير
 من سنا كأسها المعاصم والأنس فس فيها أساور وسرور
 ولها في الكؤوس في حالة المز ج حباب وفي النفوس حبور

وكأن الحباب في الكأس منها شرراً فوق ناره مستطير
طاب للشاربين منها الهوا ءان فلذ الممدود والمقصور

نجد ان العماد ولم يكن ميالاً الى المجون والتهتك والفحش كالذي نراه عند من سبقه من الشعراء كأبي نؤاس وابن سكرة الهاشمي، نراه يستمتع ويتلذذ بوصفها ووصف الكؤوس والسقاة الذين يديرونها فيبيدي اعجابه بها وبشاربيها، ونلمس فيها نزعة التبعية لشعر الأقدمين المجوني وهذه التبعية لها من ما يعضدها ولاسيما اذا عرفنا ان لكل أديبٍ أو شاعرٍ أسلوبه وشخصيته فضلاً إن عصره يعدّ امتداداً لعصورٍ سبقتة. ومما ورد في شعره بوصف الخمرة وهي في الكؤوس قوله ايضاً: (٢٤)

بطوف بها على الندماء ساقٍ شمائله معشقة الفنون
ويطفي جذوة منها بماءٍ ويخرج شدة منها بلين

قد صور لنا العماد صورة الخمرة التي يطوف بها السقاة على ندمائها وهي تخطب بماء وتخرج الشدة مع اللين في آن واحد. فيبدو أن وصف مجلس الخمرة بما يتضمن من مكونات بأوصاف بهية يمكن أن يضيفي عليها صفات الرقي، فمزايا الساقى تفيضُ بإشارات الحياة والبهاء، وهذا ما دعى الشاعر الى صورة خاطفة له، ولا غرابة في هذه الأوصاف وتوظيفها في سياق النص ليحقق جواً لطيفاً مملوءً بالبهجة والمرح^(٢٥). أو قد يكون العماد اتخذ من الخمرة رفيقاً يشد إليه الرحال ويكثر من ذكرها يصل الى طموحه الى تحقيقها ممدوحه، ومحط آماله ومصدر العطاء الذي يلجأ إليه^(٢٦)... متخذاً منها رمزاً يقوم فيها على التوافق بين الانفعالات النفسية والعاطفية، الذي يتحدث عن المشاعر والوجدان فيه البراءة والمحافظة على الآداب العامة^(٢٧). لتبقى آثار ذلك الآخر ((الممدوح)) هي أكثر العلاقات انتشاراً يتوجه الخطاب الى الآخر، منتهجاً المنهج التقليدي، ولا سيما اذا علمنا ان العماد كان مرتبطاً ارتباطاً قوياً بممدوحه. ولذلك نلحظ ارتباطه ارتباطاً الى الآخر الذي تربطه به علاقة حميمية عاشها العماد كونت في حياته نغمية خاصة بنيت على اساسها حياته، مما زاد في حدة الارتباط بين الشاعر وبين الممدوح لكون الشاعر يحمل في ذاته لممدوحه، خصوصية نفسية وفنية. لتحقيق التوافق بينها.

نلمس بعد هذا سهولة الألفاظ إذ كانت بعيدة عن التعقيد الذي لا ينسجم مع الحياة السائدة

أنداك.

خامساً - التوافق مع الآخر / المرأة

في نظرة في حياة الشعراء ومنهم العماد، نجد أن المرأة، قد استولت على اهتمام الشاعر اهتماماً واضحاً ولموساً، ولا سيما وهي رمز الحياة وديمومتها وجمالها فلولاها لما كان للحياة





طعم. ومن المعروف انها تشكل ثنائية مع الرجل، لا يستغني احدهما عن الآخر. وفي نظرة منا في شعر العماد نجد أن صور المرأة قد تعددت كذكر بعض اسماء النساء ووصف مفاتن الجمال. فكانت تجربة العماد في هذا تجربة تقليدية تسير على خطى من سبقه من القراء فهي ليست تجربة حقيقية استطاع توظيفها في حب يديه. وقد نجد له العذر في ذلك. فمن يتمتع النظر في حياة العماد التي قضاها ملازماً لنور الدين زكي وصلاح الدين الأيوبي والقادة الذين شاركوا في حروب الصليبيين. قد يلتبس له العذر ومما وجدناه في الديوان في هذا الغرض قوله: (٢٨)

أفدي الذي خلبت قلبي لواحظة وخذت لذعات الحب في كبدي
صفات ناظره سقم بلا ألم سكر بلا قدح جرح بلا قود
معشوق الدل من تيه ومن صلف مرنح العطف من لين ومن ميد
على محياه من نار الصبا شعل وورد خديه من ماء الحياة ندى

فرسم لنا العماد صورة رائعة (للآخر) للمرأة، بين فيها منظر اللواظ التي خلدت في قلبه لذعات الحب. مشبهاً صفات ناظره ب المرض ولكن بدون ألم وسكر بدون قدح، وجرح بدون ألم. واصفاً جماله من خلال توظيف الألفاظ لتكون مبعثاً لظهور الآخر المؤلف في تجربته الشعرية. مزاجاً العاطفة والشعور إذ أن صورة المرأة أصبحت ذات دلالة عاطفية موضوعية. بعيدة عن المجون الذي نراه عند غيره. كل ذلك من خلال توظيف الضمير ((هو)) فلم يستخدم الشاعر الضمير هي. للتعبير عن المحبوبة. بل استعاض عن ذلك بالضمير ((هو)) تجنباً للأحراج في ذكر المرأة علناً. إذ ان العامل الديني بدأ واضحاً جلياً في تجنب الشاعر في ذكر محبوبته صراحةً بل لجأ الى التذكير باستخدام الضمير هو رامزاً فيه الى المحبوب متغزلاً فيه وذاكراً لأوصافه التي ألهبت النار في كبده - صورة ذات عناصر حسبة وهي ذات قوة ايحائية لأنها توحى بالفكرة كما توحى بالعاطفة^(٢٩). فالغزل بالمحبيب كان عاملاً واضحاً لظهور الآخر المؤلف. إذ وظف الشاعر جمال المحبوب وأوصافه التي توافقت مع انفعالاته، ليعكس لنا اشراق ذلك الحب الذي يعيشه متحركاً بين طياته، من خلال توظيف الألفاظ مع اختلاف دلالاتها. لتكون عاملاً مهماً في تجلي الصورة واطهارها بصورة تستجلب اهتمام المتلقي. وربما كان ((وراء ذلك كله اعتلال المرأة لقدرات التشكل بصورة متعددة تفتح للشاعر آفاقاً متغيرة مواضيع لا تنتهي)).^(٣٠)

نجد أن الشاعر قد ربط حضور المرأة في مسرح الحياة في العصور المتأخرة بالموروث الأدبي فهي رمز للألفة والجمال، وأراد الشاعر أن تكون المرأة رمزاً للحياة وديمومتها.

سادساً - التوافق مع الآخر / الزمن

لقد ظهر مفهوم الزمن في وعي الانسان، نتيجة تلاحم الذات والموضوع، انطلاقاً من تصور الفيلسوف غاستون باشلار والقائل بأن ((الكثرة في داخلها متصلة بنوع من تحدد الوجود الذي تكبحة الحياة وتصبغهُ، ولكنه يباشر فعلهُ حينما تكون وحيداً بمجرد أن تقبع ساكتين فأنتا نعيش في مكان آخر، نحلم في عالم واسع متناهي الكبر، فهو حركة الانسان الساكن إنها إحدى الخصائص الدينامية لحلم اليقظة الساكن)).^(٣١)

وعليه فإن الانسان لا يقع تحت تأثير المنبه القادم من العالم الخارجي وحركته الذاتية وسلسلة حالاته^(٣٢) ويعلو شأن الزمن عند العماد الاصبهاني، فرأى منه الشيء العجيب فجعل ذلك في شعره في مرحلة من مراحل العمر متأسفاً ومتحسراً على ذلك الزمن الذي خُلف له موقفاً يشبه موقف الانسان المتذمر كقوله:^(٣٣)

آه والهفي على عي ش مضي في دار علوه
وزمان كدر الهج ران بعد الوصل صفوه
وكرام صيرتهم نسبة الآداب إخوه
حين كان الدهر للغف لة عن قصدي بنجوه

فالعماد يتحسر على زمن مضي منه ويشعر بالالام والحزن الدائم بسبب تكدر العيش بعد الصفاء، فيذكر انه عندما فقد الوصال مع الأحبة الذين امضى معهم أحلى أيام العمر كل هذه السنوات التي قضاها معهم علمته الشيء الكثير، وأن هذه الفجوة التي تسببت في نأي الخلان وتباعد الديار قد أخذت منه كل مأخذ ولم يثق له من يعول عليه، وتغير الحال، بعد فراق الكلام الذين تشرفت بنسبته إليهم لفترة من الزمن ليست بالقليل ولم يكن يحسب ان يأتي اليوم الذي لا يستطيع ان يحظى بالوصال منهم فما أشد قسوة الزمن معه حين أبعدهُ عن احبته، بعد أن قضى معهم زمناً رغيداً، رغبة منه في اسباغ قدرة سحرية على شعره ملقياً ظلالاً من المعاني تتجاوز الحدود المعجمية المباشرة لتستحضر دلالات إضافية تكون موضع تأمل ونظر^(٣٤) ومن يتأمل في النص يجد ان الشاعر قد توجه نحو الذات الألهية، ما بين تعبد ورغبة في محو الذنوب، والسعي للحصول على المغفرة والشفاعة وطلب العون والمدد في تمكين الجيوش الإسلامية ونصرها على الاعداء وفك أسر المقدسات الاسلامية من رهنها وتحريرها من سطوة الاعداء لكي يعم الأمن والأمان وتتعلم المجتمعات بالحرية والعيش الرغيد وتخليص عن حياة الذل والعبودية. ونلمس ذلك في قوله:^(٣٥)

لقد رفعنا إلى الرحمن ايدينا في شكرنا مابه الاسلام منك حبي



شكا اليك بنو الاسلام يتمهم فقامت فيهم مقام الوالد الحدب

أن الشاعر سخر دعاه لممدوحه مرضاً إليه، فكي ينهض ويخلص الاسلام من سطوة الأعداء. مبيناً شكوى الاسلام إلى قادته، فلبى ذلك النداء فكانت استجابته، كاستجابة الوالد الحنون الذي يشفق على ابنائه ولكي يحظى بمحبة الأله ورضاه عنه، فضلاً عن رضا أمة الاسلام في اعادة الهيبة لها إذ يقول: (٣٦)

موفق الرأي ماضي العزم مرتفع على الأعاجم مجداً والأعريب
أحبك الله إذ لازمت نجدته على جبين بتاج الملك معصوب
فارجوا الأله فعن قرب بنصرته سيكشف الله بلوى كل مكروب

ففي قول الشاعر هنا تبدوا المشاعر والأحاسيس واضحة، ولا سيما وأن العماد قد عانى ما عانت الأمة الإسلامية انذاك فقدم الأسباب على السبب، فنجده يلح في الدعاء على الله لنصرة ممدوحه، الذي كان موفق الرأي شديد العزم، عالي الهمة، بسطوته على الأعاجم وبسبب هذا فقد أحبه الأله سبحانه وتعالى. وبسبب ملازمته لنجدة الاسلام فقد توجه الله بتاج الملك. ونراه يتمنى ويرجوا الله ان يجعل النصر فهو على ثقة بأن الله سيكشف الكرب وينقذ الاسلام من العبودية ويرفع عنهم البلاء. فقد ابرز في هذه الصفات والمثل الحية للإنسانية الريعة فيصور تلك الشخصية وما يميزها من السمات التي بها ما كان العظيم عظيماً. (٣٧)

وفي النهاية فإن العمل الفني يمثل بنية زمانية وأن كل شيء خارج الذات الإنسانية لا وجود له، فإن اهتمام الشاعر لقضية الزمن واعتماده على مفردات الزمن في بناء صورته الشعرية، فإن دل ذلك على شيء ان ما يدل على تمتع الشاعر بثقافة كبيرة ومعرفة تامة بقيمة المرأة ومكانتها في المجتمع.

المحور الثاني

التباين مع الآخر في شعره

أولاً: التباين مع العدو (الإفرنج):

من يتأمل في شعر العماد يجد أن صوت الآخر يرتفع في كثير من الموضوعات والأغراض الشعرية، فالشاعر العربي يحرض على اظهار تلك الجوانب النفسية، فينساق ضمن تجربته الشعرية مبرزاً الآخر في جدلية ذاتية ليحدد عبرها سلوكيات الأحداث والدلالات الأنفعالية، ولن نستغرب في وجود هذه الموضوعات الذاتية في مفاصل الأدب ضمن حياة العرب قديماً وحديثاً مع ظروف المجتمع المتغير، والمتحرك في حركات تناظرية، فالآخر مرحلة وجودية تظهر بوجودها ضرورة حياتية، وضمن سياقات لا يمكن الفصل بينها، فالنظرة الى الآخر، جزء





لا يتجزء في اكتشاف الذات الإنسانية. إذ إنَّ العلاقة مع الآخر لا يمكن حصرها بحدود لأنها تبرز بصور متنوعة، بحسب المحفزات الإبداعية المرتبطة بالإحساس الجمالي وبتصورات عدة مرتبطة بالتأثيرات التي تحدها العلاقة مع الآخر^(٣٨). وقد تجسد العلاقة بين الشاعر والآخر حالة التوافق، فيرسم لنا صورة أنموذجية للآخر مادحاً كان متغزلاً أو راثياً.. والآخر ليس مجرد خيال أو مجموعة من الصور التي تعطي الصورة الحقيقية، بل ذات طبيعة وتجسيد لثنائية الوجود عبر شبكة العلاقات التوافقية.

ان هذا الاختلاف والتباين وجد في شعر العماد الأصبهاني، ولكن بصورة محدودة والذي اقتصر على جانب معين ويمكن ان اسميه (الآخر الأفرنجي) والمواعظ والانداز الذي اطلقه العماد محذراً أيهم من سطوة ممدوحة كقوله:^(٣٩)

لأقت غواة الفرنج خبيتها فزاد من حسرة تأسفها
قد فر فريرها وأزعجها نداء داويها تلهفها

فقد رسم الشاعر صورة الآخر الأفرنجي صورة مجردة من الفضائل وهو لا يكف من إلحاق صور الهزيمة والخيبة وتدبيح آيات الحسرة والتلهف بهم، إذ كانت الهزائم تتوالى عليهم، وقوله أيضاً:^(٤٠)

بنو الأصفر الأفرنج لاقوا ببيضه وسمر عواليه مناياهم حمرا
وما أبيض يوم النصر واخضر روضه من الخصب حتى اسود بالنعق واغبرا

فمن يمعن النظر في موقف العماد الأصبهاني يجد أنه يتمثل بعدم التوافق والائتلاف مع الآخر الأفرنجي بل هو في اختلاف وتناحر مستمر لا يحده حدود وليست له نهاية. وقوله في مدح القائد نور الدين:^(٤١)

بالمك العادل محمود أنجزت الأيام موعودي
سفائن الآمال من جوده قد استوت منا على الجودي
الآؤه البيض بلألأنها تشرق في ليلتنا السود

فمن يتأمل في مدح الشاعر لممدوحه يجد أنه أغلب تشبيهاته بصفة الكرم التي يتصف بها تشبيهات تنتمي للبيئة المعاشية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما سبق من الموروث الشعري في الثقافة الأدبية العربية. وقد مثل الشاعر هنا حالة الأئتلاف والتوافق مع الآخر. فضلاً وقعها الخاص في نفس المتلقي - المخاطب - فيحرك مشاعره ويثيره.

ثانياً - التباين مع الآخر / الحسود



الحسد من الظواهر التي شغلت بال الانسان منذ فترة طويلة، وحتى يومنا هذا ولا بد من حسدٍ اذا كان المرء مهماً عظيماً له سمعة وحظوة، ولا يخفى على من يتطلع في سيرة العماد من كثرة حاسديه ولا سيما عندما شاهدوا سمو منزلته ومكانته عند ابرز القادة والعظماء والشرفاء آنذاك، فقد حسده مبغضيه سعياً منهم لإفساد علاقته بمحببيه، فالتنافس بين الأشخاص في أي ميدان من ميادين الابداع لا بد وأن ينشأ عنه العديد من الأمور الجيدة والسيئة التي من بينها (الحسد) فلكل من ينعم بمميزات التفوق في مجال ابداعه لن يسلم من حسد بعض المحيطين به كما جاء في القول المأثور ((كل ذي نعمة محسود)) فكذا كان حال شاعرنا العماد فهو ذا يصرح بذلك كما في قوله: (٤٢)

الآين حَسَادِي الأَشْدَاءِ رَقِبَةً لَهْم وَأَعَانِي الصَّعْبَ بِالخَلْقِ السَّهْلِ
وَأَبْقِي مَدَارَةَ اللُّثْمِ لَعْلَةً بِيئْتُ وَلَا يَطْوِي الضَّمِيرَ عَلَي دَغَلِ
سَوَى السَّوِّءِ لَا تَجْدِي مَدَارَةَ حَسَادِي كَمَا يَسْتَفَادُ السَّمُّ مِنْ صِلَةِ الصَّلِّ

فقد يبين لنا العماد أنه يلاين حساده ويديريهم مع شدتهم ومداراة لهم مع الخلق السهل واللين، رجاء البغاة من حسدهم ومكرهم وبالرغم من ذلك كله خلق تجدي مداراته لهم نفعاً ولا خيراً يرتجى إلا كمن يستفاد السم الذي يدس له.

فعلاقة العماد مع حاسديه علاقة تنافرية إذ إن الآخر مختلف عنه فتجربة الشاعر مع الآخر محددة على أساس شخصي معادي مختلف بمرور الزمن. فهنا حاول العماد أن يتقرب منهم فلن يراعوا فيه الود والوصال بل قابلوه بالقطيعة لذلك تجده يخاطب نفسه قائلاً: (٤٣)

فَإِذَا أَتَوْتُكَ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِ مَا تَوَلَّيْتَهُ مِنْ نَعْمِي لِسَانِ الْقَائِلِ

فهنا يستفهم العماد، ماذا يقول لحاسديه ومبغضيه وهم لا يشكرون نعمة فأن له معهم حسن مودة وصحبة ولكن بالرغم من ذلك كله فهم لا يرقبون فيه إلا ولا ذمة، فكلمنا حاول التقرب منهم زاد نفورهم ولن يتوانوا في البغضاء والحسد فهنا يقول: (٤٤)

لَكِنْ يَقُولُ الحَاسِدُونَ: لَمْ أَنْتَنِي غَرِيْدٌ مَدَحِهِمْ بِجِدِّ عَاطِلِ

فحاسدوه لن ينتنوا عن حسده، ولم يكتفوا بحسده حسب بل حاولوا كساد نتاجه الشعري أيضاً. فوصفوه بالشعر العاطل لا نفع فيه ولا معنى جيد له، فلذلك نجده يخاف ان تنتقل عداوهم الى ممدوحه فيوصيه محذراً له من عدوى الحسد، بقوله: (٤٥)

وَتَوَقَّ مِنْ عَيْنِ الحَسُودِ وَشَرِّهَا لَا كَانَ نَاطِرُهَا بِسَوِّ نَاطِرَا

ولم لا يخشى على ممدوحه من الحسد، وهو الذي وجد فيه كان البطولة التي انقذت الأمة الاسلامية من الكبوته التي أصابتها آنذاك. فحري بالشاعر أن يخاف على ممدوحه من حسد



الحاسدين. فلا غرابة في ذلك إذا رأينا من يخاف على هذا المنفذ الذي لم يكن دون شك وحيد عصره في رد تلك الهجمة الصليبية الشرسة. فخسارة هذا القائد هي ليست خسارة للشاعر حسب، بل هي خسارة لكل الأمة الاسلامية.

هكذا حاول العماد أن يتوقى من حاسديه مستعيناً بأسلوب لين إذ إن الأسلوب يعد الوجه الآخر لشخصية الشاعر نفسه. فبدى كأنه حكيم قد أثقلته تجارب الحياة القاسية كانت سبباً في لقائه بأناسٍ غريبة طابعهم حاولت أن تتغص عليه حياته.

ثالثاً - الكبر وشرف النسب

الانسان بطبعه ميال الى التنوع فيعيش بشخصيات متعددة ولا سيما الانسان العربي القديم مثلاً يعيش شخصية الفارس في المعركة، ويعيش شخصية العاشق في مضارب القبيلة. إلا أن هذا التنوع في الشخصيات لا يعني الانفصام بينها، فهي تخفي خلفها وحدة مشتركة، ولكن الانسان يميل الى شخصية واحدة من هذه الشخصيات أكثر من غيرها، فيشعر ان هذه الشخصية هي مثله الأعلى أما الباقي فهو فضول يقل أهمية عن المثل الأعلى الذي أرتضاه وفضله عمى سواءً ولذلك نجده يقول: (٤٦)

ولربّ مجدٍ قد أضفت إلى ما نلتُ من خالٍ ومن عمٍ
ولئن نطقتُ بكم فوصفكم محيي الجمادُ ومُنطقُ البكم

فالعماد يقف هنا مستسلماً لهذا المجد الذي ناله من دكانةٍ مرموقة تغنيه عن نسب الأب والعم والخال، فهو حين ينطق باسم ممدوحة ويصفه فأن وصفه يحيي الجماد وينطق الأبكم، فإذا كان هذا الحال مع الجماد فكيف سيكون الحال مع العماد والذي تشرف بخدمة الممدوح ومرافقته في كل غزواته وفي حلّه وترحاله فما وصل إليه من مجد وعلو مكانةٍ هو بفضل انتسابه لممدوحه، كل ذلك من خلال اختيار الأداة اختياراً دقيقاً، يضعها في وسط لغوي يؤيد من قدرتها على امتاع المتلقي واقناعه في أن واحد.

رابعاً - التباين مع الآخر الشيب

من يتأمل شعر العماد يجد للشيب حضوراً مهماً، لأنه عاش عمراً لا بأس فيه وهو في صحبة الشيب، وشكلت صورة الشيب دلالات حسية ومعنوية إذ انه علامة على الكبر ومن الطبيعي ألا يكون هناك ترحيب له، فضلاً عن ذلك فإنه يمثل هاجساً نفسياً عظيماً، لأن الشيب من أهم علامات مفارقة الشباب وعزوف النساء فهو موضوع يتناول الآخر المختلف في لون لا تستحسنه الأذواق، وتتفر منه النفوس لذا فقد أرتبط الشيب بالتذمر والتحرر فهو رمز للهموم فهو



رمز للهموم والأحزان والأضطراب والتعلق والتشتت، وهذا ما يؤيده صاحب العقد الفريد بقوله ((احسن انماط في المراثي والبكاء على الشباب))^(٤٧) ونلمس ذلك في شعر العماد في قوله: (٤٨)

أصدوداً ولم يصدُ التصابي ونفاراً ولم يرعك المشيب
وكتاب الشباب لم يطوه الشيبُ ولا مسَّ نقشهُ التشريبُ

فقد رسم لنا العماد صورتين مختلفتين، فالصورة الاولى صورة الشباب والأعراض عنه والصدود عنه من قبل النساء وهي صورة تمثل القوة والنشاط فهي ذات جانب نفسي ايجابي وتوافقي. والصورة الثانية هي صورة الشيب والكبر ممثلاً فيها النفور وأراد الشاعر هنا أن يبين سطوة المشيب لكي يكون رادعاً للإنسان عن غيّه وأن لا يغتر بهذه الحياة. فالحياة عنده ركضُ عمرٍ قد ولى واندثر كما في قوله: (٤٩)

وما مشيب المرء إلا غبرةٌ تعلقت من ركضِ عمرٍ قد غبر

رسم الشاعر لنا صورة المشيب الذي تعلق فيه الغبار الذي نال من كدّ السنين التي عاشها الشاعر، فكانت الصورة معبرة عن موقف الشاعر من المشيب اذ انها تمثل حالة الشاعر النفسية، وما يعتلج في صوره من انفعالات وجدانية حسدت موقفه من هذه المرحلة من العمر وهي نتيجة حتمية، معروفة لديه ولكل انسان فمصير كل انسان في هذه الحياة مرتبط بهذه المراحل العمرية.

فقط أنكر العماد على النساء الحسان اللواتي زهدن فيه بعد أن علا الشيب معرفة بقوله: (٥٠)

ما بالهن زهدن اليوم فيه وقد أفاده الشيب تجريباً وثقل حصي
كرهن بعد سواد شيب لمتنه لما رأين بياضاً خلنه برصاً

فقد أثبت العماد أنه قد أكتسب من هذه المرحلة العمرية تجربة صور فيها الشاعر، رزائته (ثقل حصي) كناية عن الرزانة، تصويراً ينم عن عميق شعوره وأحاسسه وتوافقه مع هذا البياض (الشيب) الذي اعتراه بعد السواد الذي تجاوز شحمة أذنيه وتوقعت الحسان أنه البرص الذي يصيب الانسان، لكي يطمئن معشر النساء فان هذا اللون قد أفاده ثباتاً وثقلاً. محاولاً باقناع ذاتي فني اثبات تجربته الشعرية في صياغة القول ليبعث بها المتلقي أو يجاري شعور الآخر. ولا ننسى ان لكل تجربة شعرية عناصر مختلفة من فكرية وخيالية وعاطفية وليس بالضرورة ان تكون متفقة تمام الاتفاق مع آخرين، فالأحاسيس والانطباعات الذاتية، تختلف باختلاف الموضوع. فلا ريب أن نجد توافق العماد مع الشيب بخلاف غيره من الشعراء، فلكل موقفه وتجربته. فلا شك أن

اختلاف المواقف والتجارب في كل يترك أثره في الخصائص الفنية للشعر نظراً لما بين موضوع النص الأدبي واسلوبه من ارتباط.^(٥١)

نتائج البحث

سعى الباحث جاهداً الى تقصي مفهوم الآخر في تداخلاته وتفاعلاته وعلاقته المركبة والمتشابكة في شعر العماد الأصبهاني، وحاول أن يستقرأ أبرز ملامح هذه الظاهرة التكوينية الغارقة في كنه حضورها في نصوصه الشعرية، إذ إن الحديث عن مفهوم الآخر يتسع لأفقٍ رحبٍ لتشعب معانيه وتنوعها وتعددتها بحسب الرؤى الفكرية والثقافية التي انطلقت منها. فالآخر ليس بالضرورة أن يكون انساناً فقد يكون السيف والزمان والشيب والمرأة والخمرة وغيرها كما ظهر من خلال البحث. وقد امتدت تجربته للتعبير عنها بتقنيات ورؤى جديدة في بعضٍ منها ومألوفة في بعضها الآخر، فأضفى الشاعر للذاكرة الأدبية فكرة متابعة في نصوصه المفعمة في الجد والحيوية والمتضمنة لكثير من تجليات الذات والآخر فضلاً عن الإئتلاف مع الآخر.

قد تجلى وتجسد بوضوح من خلال ذات الشاعر التي برزت في نتاجه الفني المتمثل برسم الصورة الشعرية لأنها تتطابق مع الشعور وتطابق هويته.

اما التباين مع الآخر فكشف عن انطباعات الشاعر في لحظة معينة فما كان انتلافاً بالأمس يصبح تبايناً اليوم، لأنه منبثق من ذات تعاني تقلبات الآخر.

الهوامش

- (١) معجم الادباء، ٨١/٧، ياقوت الحموي، ت ٦٢٦ هـ مط دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ م.
- (٢) تاريخ دولة آل سلجوق، ١٤٩ عماد الدين الاصبهاني، (ت ٥٩٨)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠ م.
- (٣) جريدة القصر، عماد الدين الأصبهاني، (ت: ٥٩٧ هـ) مجموعة مؤلفين، بيروت، ١٩٦٨ م، ص ٥٨.
- (٤) ديوان العماد الاصبهاني: تحقيق د. ناظم رشيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص ١٤٣.
- (٥) الديوان، ١٨٥.
- (٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٥٢: ٥. تح: د. احسان عباس، مطبعة دار صادر بيروت، ١٩٧٢.
- (٧) القرآن الكريم، سورة المائدة: الآية ١٠٧.
- (٨) لسان العرب لابن منظور: ١٣ دار صادر بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- (٩) معجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ٩، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا (د.ن) (د.ت).
- (١٠) في معرفة الآخر: سالم حميش، ص ٥، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط ٢، ٢٠٠٣.
- (١١) الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، مصلح النجار وآخرون، ص ٥١، المطبعة الأهلية، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- (١٢) الديوان: ١١١.
- (١٣) الديوان: ٧٦.



- (١٤) الديوان: ١٢٥.
- (١٥) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٢٤١ مصطفى الشكعة، ط٦، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
- (١٦) الديوان: ٢٣٤.
- (١٧) الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٧٤٥ ومصطفى الشكعة، دار العلم للملايين.
- (١٨) ينظر: تقويم جديد لدول الأدب في العصور المتأخرة، ص١٩، نوري القيسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ٢٢، ١٩٧٨م.
- (١٩) الديوان: ٢١٢.
- (٢٠) شوقي ضيف: الرثاء: ٥٤ دار المعارف، القاهرة، ط٢٤، ١٩٥٥م.
- (٢١) الديوان: ٨٦.
- (٢٢) ابن رشيق، العمدة، محاسن الشعر أدابه، تح: عمر عبد القادر، احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٩٩.
- (٢٣) الديوان: ١٧٨-١٧٩.
- (٢٤) الديوان: ٤٢٤.
- (٢٥) صورة الساقى في الشعر العباسي: ٢٢٢، محمود عيسى عزام، ابراهيم مصطفى الدهون، ٢٠١٩، مجلة اساتذة الانسانية للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج ٤٦، العدد ١، ملحق ٢.
- (٢٦) ينظر قضايا واتجاهات في القصيدة العباسية: ١٩٧، عبدالله النطاوي، القاهرة، مكتبة غريب، دت.
- (٢٧) ينظر تاريخ الأدب في العصر العباسي: ٣٧، مصطفى السيوفي، القاهرة، الدار الدولية، ط١، ٢٠٠٨م.
- (٢٨) الديوان: ١٣٧.
- (٢٩) التمهيد في النقد الحديث ١٩٠ روز غريب، مطبعة دار غندورة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
- (٣٠) البناء الفني عند الفرزدق: علاء الدين المعاضدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٢م، ص٢٢٢.
- (٣١) جماليات المكان غاستون باشلار ترجمة غالب طعمه، دار الجاحظ، بغداد، ط١، ١٩٨٠م، ص٢١٠.
- (٣٢) الانسان ذلك المجهول، ليكس كاريل، ترجمة عادل شفيق، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٨٨م، ص١٢٣.
- (٣٣) الديوان: ٤٣٩.
- (٣٤) رولات بارت: البنيوية وما بعدها من ليفي ستراوس الى دريدا، تحرير جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد ٢٠، الكويت، ١٩٩٦م، ص٨٨.
- (٣٥) الديوان: ٨٠.
- (٣٦) الديوان: ٨٣.
- (٣٧) العمدة: ابن رشيق القيرواني: ١٠٤.
- (٣٨) ينظر: صورة الآخر في المخيال الاسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠١م، ص٤١.
- (٣٩) الديوان: ٣٠٩.



١٩٠. ((الديوان: ١٩٠.
١٣٩. ((الديوان: ١٣٩.
٣٥١. ((الديوان: ٣٥١.
٣٤٩. ((الديوان: ٣٤٩.
٣٤٩. ((الديوان: ٣٤٩.
١٥٩. ((الديوان: ١٥٩.
٢٤٧. ((الديوان: ٢٤٧.
٤٧. ((العقد الفريد لأبن عبد ربه، تح: محمد سعيد العريان، ج٢، ط، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٠ هـ -
١٩٤١م، ص ٣٥١.
٧٧. ((الديوان: ٧٧.
١٥١. ((الديوان: ١٥١.
٢٤٧. ((الديوان: ٢٤٧.
٥١. ((ينظر: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني: ١٧١ تأليف الدكتور محمود ابراهيم، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ.

المصادر

● القرآن الكريم

● المراجع العلمية

١. ابن رشيقي، العمدة، محاسن الشعر أدايه، تح: عمر عبد القادر، احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٩٩.
٢. أبن عبد ربه، العقد الفريد تح: محمد سعيد العريان، ج٢، ط، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١م.
٣. احسان عباس، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٥٢:٥. تح: ، مطبعة دار صادر بيروت، ١٩٧٢.
٤. جريدة القصر، عماد الدين الأصبهاني، (ت:٥٩٧هـ) مجموعة مؤلفين، بيروت، ١٩٦٨م.
٥. روز غريب، التمهيد في النقد الحديث ١٩٠ مطبعة دار غندورة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
٦. رولات بارت: البنيوية وما بعدها من ليفي ستراوس الى دريدا، تحرير جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد ٢٠، الكويت، ١٩٩٦م.
٧. سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط٢، ٢٠٠٣.
٨. شوقي ضيف: الرثاء: ٥٤ دار المعارف، القاهرة، ط٢٤، ١٩٥٥م.
٩. صورة الآخر في المخيال الاسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
١٠. عبدالله النطاوي، قضايا واتجاهات في القصيدة العباسية: ١٩٧، القاهرة، مكتبة غريب، د.ت.
١١. علاء الدين المعاصدي، البناء الفني عند الفرزدق: ٢٢٢. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٢م.



١٢. عماد الدين الاصبهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٤٩ (ت ٥٩٨)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٣. غاستون باشلار، جماليات المكان ترجمة غالب طعمه، دار الجاحظ، بغداد، ط ١، ١٩٨٠م.
١٤. لسان العرب لإبن منظور: ١٣ دار صادر بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٥. ليكس كاريل، الانسان ذلك المجهول، ترجمة عادل شفيق، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٨٨م.
١٦. محمود عيسى عزام، ابراهيم مصطفى الدهون، صورة الساقى في الشعر العباسي: ٢٢٢، ٢٠١٩، مجلة اساتذة الانسانية للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج ٤٦، العدد ١، ملحق ٢.
١٧. محمود ابراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني: ١٧١ دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٢، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ.
١٨. مصطفى السيوفى، تاريخ الأدب في العصر العباسي: ٣٧، القاهرة، الدار الدولية، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٩. مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٢٤١ ط ٦، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
٢٠. مصلح النجار وآخرون، الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، المطبعة الأهلية، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م.
٢١. معجم الادباء، ٨١/٧، ياقوت الحموي، ت ٦٢٦ هـ مط دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.
٢٢. معجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ٩، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا (د.ن) (د.ت).
٢٣. نوري القيسي، تقويم جديد لدور الأدب في العصور المتأخرة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ٢٢٢، ١٩٧٨م.

Sources

•The Holy Quran

•Scientific references

- 1-Ibn Rashiq, Al-Umda, the merits of poetry and its literature, edited by: Omar Abdel-Qader, Ahmed Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2001.
- 2-Ibn Abd Rabbo, The Unique Contract, edited by: Muhammad Saeed Al-Arian, Volume 2, i, The Great Commercial Library, 1360 AH - 1941.
- 3-Ihsan Abbas, The Deaths of Notables by Ibn Khalkan 5:152. Tah: Dar Sader Beirut Press, 1972.
- 4-Al-Qasr Newspaper, Imad Al-Din Al-Asbahani, (d.: 597 AH), a group of authors, Beirut, 1968.
- 5-Rose Gharib, Introduction to Modern Criticism 190 Dar Ghandoura Press, Beirut, 1st edition, 1971 AD.
- 6- Barth's Rolls: Structuralism and Beyond from Levi Strauss to Derrida, edited by John Stroke, translated by Muhammad Asfour, The World of Knowledge, No. 20, Kuwait, 1996 AD.
- 7- Salem Hamish, In Knowing the Other, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, 2nd Edition, 2003.
- 8- Shawqi Dhaif: Lamentation: 54, Dar Al Maaref, Cairo, 24th edition, 1955 AD.
- 9- The Image of the Other in the Islamic Imagination during the Middle Ages, Arab Cultural Center, Dar al-Bayda, Morocco, 1, 2001 AD.



- 10-Abdullah Al-Natawi, Issues and Trends in the Abbasid Poem: 197, Cairo, Gharib Library, d.T.
- 11-Alaa Al-Din Al-Maadidi, The Technical Construction of Al-Farazdaq: 222. Master's Thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1992.
- 12- Imad Al-Din Al-Asbahani, History of the State of the Seljuk Family, 149 (d. 598), Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, Beirut, 1980 AD.
- 13- Gaston Bachelard, The Aesthetics of the Place, translated by Ghaleb Tohme, Dar Al-Jahiz, Baghdad, 1, 1980 AD.
- 14- Lisan Al Arab by Ibn Manzoor: 13 Dar Sader Beirut - Lebanon, 1, 2000 AD.
- 15- Lex Karbel, The Unknown Person, translated by Adel Shafiq, Beirut, Lebanon, d.T, 1988 AD.
- 16- Mahmoud Issa Azzam, Ibrahim Mustafa Al-Fatham, The Picture of the Sommelier in Abbasid Poetry: 222, 2019, Journal of the Humanities Professors for Humanities and Social Sciences, Volume 46, Issue 1, Supplement 2.
- 17-Mahmoud Ibrahim, The Echo of the Crusader Invasion in the Poetry of Ibn Al-Qaysrani: 171 Dar Al-Bashir for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2nd Edition, 1988 AD, 1408 AH.
- 18-Mustafa Al-Seyoufi, History of Literature in the Abbasid Era: 37, Cairo, International House, 1, 2008 AD.
- 19-Mustafa Al-Shaka'a, Poetry and Poets in the Abbasid Era: 241 6th Edition, Dar Al-Ilm for Millions, 1986 AD.
- 20-Mosleh Al-Najjar and others, Cultural and Post-Colonial Studies, National Press, Jordan, 1, 2008 AD.
- 21-Dictionary of Literature, 7/81, Yaqout Al-Hamawi, 626 AH, Mat Dar Sader, Beirut, 1955 AD.
- 22-Al-Wasit Dictionary, Ibrahim Mustafa and others, p. 9, Islamic Library for Printing and Publishing, Turkey (d.n) (d.t).
- 23-Nouri Al-Qaisi, A New Calendar for Countries of Literature in the Late Periods, Journal of the College of Arts, University of Baghdad, No. 22, 1978 AD.

